مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 08/ العـدد 02: (2021)، ص: 76-91

فضل الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها في الفكر الغربي

The virtue of Arab-Islamic civilization and its impact on Western thought

الباحثة: خدير رتيبة[1]

[1]كلية العلوم الاجتماعية . جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله -. الجزائر.

الملخص:

الحضارة العربية الإسلامية مفخرة حقيقية مبنية على أسس ومبادئ جليلة مستوحاة من الإسلام، لها الفضل على العالم ككل شرقا وغربا، فبصمتها شملت جميع المستويات (علميا، اجتماعيا، اقتصاديا... ما يعكس قوة أصالتها وقيّمها وعراقتها، فهي تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، وتعتبر أطولهم عمرا، وأعظمهم أثرا.

ونظرا لخصائص الحضارة الإسلامية ومميّزاتها التي كان لها تأثير واضح على العالم الغربي بشكل خاص، وفضل لا يمكن تجاهله أو إنكاره، بالرغم من التحفظ الذي يصاحب ردود الأفعال والعديد من المواقف لدى غالبية الدول الغربية في ذلك، هو أهم ما يسعى إليه هذا البحث مركزاً على الدور الهام الذي ساهمت به الحضارة الإسلامية في بناء الحضارة الغربية والفضل الكبير الذي يرجع لها في تحقيق تقدمها ورقيّها ومواكبتها للتطورات العلمية والعملية عموما، والتأثير فيها من خلال إسهامات علمائها ومفكريها.

الكلمات المفتاحية: فضل الحضارة على الغرب – الحضارة العربية الإسلامية – الفكر الغربي

Summary:

The Arab-Islamic civilization is a real pride built on great foundations and principles inspired by Islam. It has a credit for the whole world, east and west, and its mark has included all levels (scientific, social, economic... which reflects the strength of its originality, values and heritage, as it occupies a high position among the major civilizations that Appeared in human history, and is considered the longest-lived, and the greatest impact.

In view of the characteristics and characteristics of Islamic civilization that had a clear impact on the Western world in particular, and a virtue that cannot be ignored or denied, despite the reservation that accompanies the reactions and many positions of the majority of Western countries in this, is the most important thing that this research seeks, focusing on the role The importance that Islamic civilization contributed to building Western civilization and the great credit that owes to it in achieving its progress and advancement, keeping pace with scientific and practical developments in general, and influencing it through the contributions of its scholars and thinkers.

Keywords: the preference of civilization over the West - Arab-Islamic civilization - Western thought

المؤلف المرسل: رتيبة خدير.

المقدمة:

تعتبر الحضارة العربية الإسلامية واحدة من بين الحضارات العريقة في تاريخ الإنسانية، فهي بالدرجة الأولى ذات نزعة إنسانية هادفة، حيث يعدّ الدين الإسلامي هو جوهرها وعمادها وأساس قيامها، فالإسلام شرف الأمة الإسلامية فكانت خير أمّة أخرجت للناس. كما حققت الحضارة العربية الإسلامية ازدهارها من خلال تفاعلها الايجابي مع الحضارات الأخرى، وهو ما جعلها ترتقي في مجالات عديدة، مثل: البناء والعمران، الفنون والأدب، الزراعة، العلوم، التجارة والصناعة...

الحضارة العربية الإسلامية هي إذن مصدر اعتزاز وفخر للمسلمين عموما والعرب خصوصا في جميع أنحاء العالم، ولها الفضل الأكبر على العالم الغربي الذي بنى نهضته على أنقاضها وهذا من خلال استغلال الفلسفة الإسلامية التي تقوم على رسالة سماوية ترحب بحرية الفكر مع الاستقامة في الدين.

ونظرا للأسس الإسلامية المتينة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وساعدت في ازدهارها ورقيّها جعلها مصدر تأثير في الحضارة الغربية والتي لا يمكن أن يجحده إلاّ مكابر أو غافل، فقد قدمت هذه الأخيرة للغرب زاد نهضتهم التي يتفاخرون بها الآن ويتطاولون على من كان لهم الفضل في ذلك.

ومن هنا تبرز إشكالية البحث وهي:

- ماذا قدمت الحضارة العربية الإسلامية للعالم؟

- ما هي أبرز خصائص ومميزات الحضارة الإسلامية؟

- كيف كان تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب؟

وقد قسم البحث إلى مقدمة ومطالب تمّ تناولها كالآتي:

المطلب الأول: الإطار العام للحضارة العربية الإسلامية

الفرع الأول: الحضارة الإسلامية: ماهيتها، وأهم عوامل تفوقها

الفرع الثاني: مقومات الحضارة العربية الإسلامية

الفرع الثالث: خصائص الحضارة العربية الإسلامية

المطلب الثاني: تأثير الحضارة الإسلامية في الفكر الغربي

الفرع الأول: معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

الفرع الثاني: أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية

الفرع الثالث: إسهامات العلماء المسلمين في الحضارة الغربية

المطلب الأول: الإطار العام للحضارة العربية الإسلامية

يحسن بنا قبل أن نتكلم في الحضارة بوجه عام، والحضارة الإسلامية بوجه خاص أن نعرّف الحضارة، وأن نصور ماهيتها[1]، فالباحثون في التاريخ وعلماء الاجتماع والحضارة لم يتفقوا على تعريف معين للحضارة، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعاً لاختلاف أقطارهم ومذاهبهم، فمنهم من يراها عقيدة وخلقا وسلوك يوفر للإنسان السعادة والرفاهية، ومنهم من يضم إلى ذلك عناصر أخرى من ازدهار اقتصادي، وسبق عمراني، وتقدم صناعي، ونظام اجتماعي وتشريعي. ومنهم من يهدم ذلك كله ويعتبرها الإباحية المطلقة[2] .

تعرّف الحضارة (بفتح الحاء وبكسرها) فهي ـ لغةً ـ الإقامة في الحَضَر، والحضر خلاف البدوْ، وهي تطلق الآن – اصطلاحاً – على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخُلُقاً، مادةً وروحاً، دنيا ودِيناً[3] فمن الواضح أن لفظ الحضارة مشتق من الحضر، وهم سكان المراكز العمرانية التي تقابلها الكلمة اللاتينية civilization، وذلك كما نصّ عليه ابن منظور فقال: "الحضارة هي الإقامة في

الحضر، والحاضرة خلاف البادية" لكن تطوّر المعنى بعد ذلك ليشمل ما تستلزمه حياة الإنسان في الحضر من تطوّر في الصناعة والعلوم والفنون والقوانين وغير ذالك، وهذا ما جعل ابن خلدون يعرّفها على أنها "أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة، وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتاً غير منحصر"[4].

الفرع الأول: الحضارة الإسلامية: ماهيتها، وأهم عوامل تفوقها

تشير كلمة الحضارة الإسلامية إلى المبادئ التي تضمنها الدين الإسلامي الحنيف، وهي تلك المبادئ التي أرسل بها الله تعالى رسوله الأمين محمداً صلى الله عليه وسلم لتنظيم هذا العالم وإصلاحه وقيادته إلى الطريق السليم الذي يوجهه إلى الخير والسعادة وينأى به عن الشر والشقاء، ثم تركها الرسول الكريم إلى الخلفاء الذين جاءوا من بعده لينشروها ما وسعتهم الطاقة في أرجاء العالم[5].

وقد كان للعلماء والمفكرين دوراً هاماً في إرساء معالم الحضارة الإسلامية بالخصوص في العصر الإسلامي أين برزت ملامح التفوق العلمي، الذي حُضي بمجموعة من العوامل المساعدة والتي دفعت به نحو الازدهار، نذكر أهمها:

أولاً[6]: حرية الرأي العلمي – فلم يتعرض عالم لمحنة بسبب رأيه العلمي.

ثانياً: رعاية الحكّام والولاة للعلم والعلماء، وإنفاقهم بسخاء في هذا المجال.

ثالثاً: استعلاء العلماء بعلمهم، وزهدهم في الترف والسلطان.

رابعاً: الاستعداد الذهني مع الصبر والمصابرة والمثابرة حتى أن أعمال العالم منهم من مؤلفاته تعد بالعشرات، في أغلب الأحيان.

الفرع الثاني: مقومات الحضارة العربية الإسلامية

لكل حضارة من الحضارات الإنسانية مقومات فكرية كانت لها بمثابة القوة الدافعة والموّجهة لخط سيرها، وقد تعددت مقومات الحضارة الإسلامية التي انتظمت في مجموعة من العناصر لايمكن حصرها لأنه قد يطول تقديم تفاصيلها، لهذا نكتفي بذكر أهمها:

1- قامت الحضارة الإسلامية[7]على أساس مفهوم الإسلام. وقد أمدها القرآن بالروح والهدف والضوابط والقوة والتماسك، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والعالمية، وحرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترام شعائرهم. وقد ربطت العلم بالدين

والسياسة بالأخلاق، بعيدة عن التعقيد والصراع، لهذا كانت الحضارة الإسلامية جامعة ووسطية لها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات.

2- قامت الحضارة الإسلامية[8] على أساس الوحدة الإنسانية بين جميع الشعوب، فمن أجل ذلك تألّف الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية شعوباً متعددة تضمّ أعراقاً شتّى وأجناساً متباينة، لكل منها تراثها الحضاري وخبراتها الثقافية العلمية المتنوّعة. إذن فهي نِتاجاً لشعوب العالم الإسلامي المختلفة دخلت تحت لواء الإسلام وشكّلت بدورها مصدر قوّة جعلت منها نموذجاً فريداً أضاء الدنيا بالعلم والتسامح، بل احتوت كل من يعيش في ظلالها فأبدعت وجدّدت وأضافت وشيّدت.

3- قامت الحضارة الإسلامية[9] على أساس الانفتاح على الآخرين، حيث أن الشعوب التي دخلت تحت راية الإسلام رافداً وعاملاً مهمّا من عوامل إثراء الحضارة الإنسانية، وأيضاً عامل الانفتاح على حضارات الأمم السابقة والاستفادة منها من أهم روافد الحضارة الإسلامية وعوامل نهضتها، فالانفتاح على الآخرين لم يكن انفتاحاً أعمى، وإنما كان في غالبه وفق قيّم ومبادئ المسلمين، وما يقرّه دينهم الحنيف، فقد إنفتحوا على الحضارة الإغريقية(القوانين)، والفارسية(الأدب والتراتيب الإدارية)، والهندية(النحو، الفلسفة، الحساب، الفلك..)، إضافة إلى ذلك فإن ما إستفاده المسلمون من الحضارات الأخرى يعدّ مزيّة تحسب لهم وليس عيباً، إذ يعني ذلك تفتّح العقل عند المسلم واستعداداه لتقبّل ما لدى الآخرين، كما أن الإسهام في مسيرة الإنسانية يبدأ بآخر ما وصل إليه الآخرون.

الفرع الثالث: خصائص الحضارة العربية الإسلامية

لكل حضارة سمات وخصوصية تتصل بشعب تلك الحضارة ونظرته إلى الحياة وطريقة تفكيره وعاداته وتقاليده ومدى تفاعله مع بيئته، ومن هذا المنطق نرى في الحضارة العربية الإسلامية عددا من هذه الخصائص التي نوجزها في[10]:

1. **النزعة العلمية:** حب العلم وطلبه والتأكيد عليه صفة أساسية في الإسلام وحضارته، فقد ذكر القرآن الكريم العلم ومشتقاته في عدد كبير من الآيات بلغت(780آية)، أمّا الأحاديث النبوية التي جاءت بفضل العلم والحث على طلبه وتكريم أهله، فهي الأخرى كثيرة زخرت بها كتب الحديث وسننه منها قوله صلى الله عليه وسلم في مكانة أهل العلم عند الله سبحانه "أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" وقوله: "من سلك طريقا يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"، ولما

كان الإسلام بمصادره التشريعية (القرآن والحديث) قد أكد على العلم وطلبه وفضل أهله، فقد نهج العلماء العرب منهج الرقة والأمانة العلمية واجتناب الظنون والشبهات في المعارف المختلفة، فبذلوا في سبيله أموالهم وراحتهم حتى بلغوا به أعلى المراتب[11].

2. **النزعة الأخلاقية:** تعدّ الأخلاق السياج الواقي للحضارة الإسلامية، وهي الأساس الذي قامت عليه، فمبادئ القيم والأخلاق تتدخّل في كل نُظم الحياة، وفي مختلف أوجه نشاطها سواء في السلوك الشخصي أو الاجتماعي، وقد بُعث رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليكمل الأخلاق ويتمّمها، فقد قال عليه الصلاة والسلام "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ" ففي الحكم، وفي العلم، وفي التشريع، وفي الحرب، وفي السلم، وفي الأسرة،...رُوعيت المبادئ الأخلاقية في الحضارة الإسلامية تشريعاً وتطبيقاً، حتى تركت الحضارة الإسلامية آثاراً تستحقُّ الإعجاب وتجعلها من بين الحضارات التي كفلت الإنسانية سعادة خالصة لا يشوبها شقاء. كما أن مصدر الالتزام في الأخلاق الإسلامية إنما هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى له، أمّا الأخلاق النظرية فإنما هو الضمير المجرّد أو الإحساس بالواجب[12].

3. **النزعة السلمية:** هي حضارة محبة وسلام، ففي ظل السلام يكون الإنشاء والتعمير، وفي ظل السلام يأمن كل فرد على نفسه وعرضه وماله وأهله. وقد أجمع الباحثون على أن البلاد والأقاليم التي احتوتها الدولة الإسلامية والتي ترعرعت بين جوانبها الحضارة الإسلامية العربية، نعمت تحت مظلة الإسلام بقدر من السلام لم تعرفه في تاريخها السابق، فقد حرص الإسلام على التمسك بروح السلام الذي لا يتعارض مع مصالح المسلمين وهكذا ساد السلام ربوع العالم الإسلامي فالتجار وطلاب العلم والحجاج قاموا برحلاتهم بانتظام في جوّ من الأمن والسلام[13].

4. **النزعة العقلية:** إحتل العقل مكانته المتقدمة في الإسلام وحضارته بعيداً عن العاطفة والتقليد، فقد إعتمد المسلمون العقل في انتاجاتهم العلمية المختلفة بما فيها العلوم الشرعية، وحاولوا التوفيق بين العقل والدين، ومن بين الفرق الاسلامية التي اعتمدت العقل في كل شيء وجعلته أساسا لفلسفتها هي فرقة المعتزلة التي يصطلح عليها ـ المدرسة العقلية في الإسلام ـ[14]

وهذه بعض من الخصائص التي تتفرّد بها الحضارة الإسلامية فتكتسب طابع الديمومة والاستمرار من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، لأنها نابعة منها ولصيقة بها، وهي بذلك

بمنزلة الجوهر النفيس الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر، وإن تبدّلت الأحوال وجدت المستجدات.[15]

المطلب الثاني: تأثير الحضارة الإسلامية في الفكر الغربي

جاء الدين الإسلامي بحضارة رائعة فاقت كل الحضارات السابقة وذلك لأثر الدين في كل النواحي الحضارية، فقد ارتكزت الحضارة الإسلامية على أسس ربانية جعلتها قوية ، وبما أن الحضارات القوية في قواعدها وأسسها هي التي تؤثر في الحضارات الأخرى انتشرت الحضارة الإسلامية في كافة أنحاء العالم آنذاك.[16]

الفرع الأول: معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

المعابر التي سلكتها الحضارة الإسلامية في طريقها إلى أوروبا، واجتيازها الفكر الإسلامي بمختلف عناصره الأدبية والعلمية والفلسفية، فهي ثلاث مراكز رئيسية كبرى:[17]

الحروب الصليبية: مثلت معبراً هاماً انتقلت عليه الحضارة العربية الإسلامية من بلاد الشام إلى الغرب الأوروبي، وكان عصر الحروب الصليبية بالذات يمتاز بنوع من النضوج الفكري في بلاد المشرق الإسلامي. فقد استفاد الصليبيون من الآداب والعلوم والفنون والطب والأدوية من الحضارة العربية الإسلامية، وقد نقل الصليبيون علوم وطباع المسلمين فتحسنت طباعهم بعد الخشونة، واستنارت بلادهم بعد أن نقلوا علوم العرب من بلاد الشام إلى الغرب الأوروبي. والتجارة في هذه الفترة كانت على درجة كبيرة من الأهمية لنقل الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي فأصبح التجار الإيطاليون يمثلون الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، فنقلوا الكثير من المصطلحات والعمليات الحسابية العربية إلى اللغات الأوروبية والتي لا تزال موجودة في العمليات التجارية الأوروبية.[18]

صقلية: وهي المعبر الثاني الذي انتقلت منه حضارة الإسلام إلى غرب أوروبا حيث صار للثقافة الإسلامية شأن كبير، وجزيرة صقلية كانت خاضعة في القرن الخامس إلى القرن الثامن من الميلاد لدولة رومانية الشرقية، ثم فتحها العرب فكان لهم تأثر فني على المباني التي وصفت على أنها (عربية – نورماندية) وظهر الطراز العربي في الكنائس وقصور الملوك النورمانديين، وأخرجت صقلية جملة من العلماء والمحدثين، الفقهاء، الأدباء والفلاسفة. ونتيجة لتفوق المسلمين في شتّى القطاعات بدأت آمالهم تغزو الآفاق المجاورة إلى غاية وصولهم إلى جنوب إيطاليا.[19]

إسبانيا: من خلال المقارنة بين ما كانت عليه أوروبا قبل دخول الإسلام إسبانيا وما كانت عليه من ظلام وجهل وبين ما أصبحت عليه في القرن الحادي عشر وبعده بعد، أن ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية ونشرت ثقافتها على العالم كله واقتبسها أبناء الغرب الأوروبي، وهذا صحيح وواقعي. فإذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد حين كانت الحضارة الإسلامية في اسبانيا ساطعة جداً رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، ودامت همجية أوروبا زمناً طويلاً ولم تعرف ميل إلى العلم إلاّ في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب والمسلمين الذين كانوا أئمة وحدهم.[20]

بالإضافة إلى كل ماسبق ذكره ترجع الأسباب الحقيقية لوصول الحضارة الإسلامية إلى العديد من دول العالم لصلات القديمة والعريقة بين العرب و(الهند، الصين، إفريقيا،..

الفرع الثاني: أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية

إذا كان تأثير العرب في الشرق واضحاً في الدين واللغة والفنون على وجه الخصوص، فإن تأثيره في الغرب واضح في العلوم والآداب والأخلاق. ولا يمكن إدراك أهمية تأثير العرب في الغرب إلاّ بتصور حال أوروبا حينما أدخل العرب حضارتهم إليها، فإذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد لم يكن في العالم بلاد يمكن الدراسة فيها غير الأندلس العربية بالإضافة إلى الشرق الإسلامي[21]

يقول العالم الغربي(رينيه جينو): "إن الحضارة الإسلامية قد أسيئ فهمها، إذ إن معظم الأوروبيين لا يقدّرون أهمية تأثير تلك الحضارة عليهم تقديراً كافياً، ولا طبيعة استعارهم منها، بل يذهب البعض بعيداً إلى درجة الإغفال الكامل لها. ويعود السبب في ذلك إلى التاريخ الذي تعلموه بعد أن زيفت حقائقه. فهم لا يمنحوا أي اعتبار للثقافة الإسلامية إلا بتحفظ، وهم أكثر اعتياداً على تشويهها عند كل فرصة"[22]، وسنستعرض فيمايلي بعض أهمّ المجالات التي كان للحضارة الإسلامية الفضل الكبير في التأثير على الغرب وسبباً في تقدُّمه الحضاري.

1. الحياة العلمية: تعتبر من المجالات الأكثر أهمية وتأثير والتي سنتناولها بشكل مقتضب لتفادي التوسع والإطالة في تفاصيلها، فهي تضم العديد من العلوم:

أ.الطّب والصّيدلة: اعتنى المسلمون بالطّب عناية فائقة، وترجموا للعربية أهمّ الكتب الطبيّة لليونانيّن، ولكن لم يقنعوا بما وجدوه فيها من معلومات وإنما عدّلوها وصحّحوها، وأضافوا إليها وكتبوا أبواباً جديدة في الطبّ والصّيدلة لم يسبقهم إليها إنسان[23].

ب. الكيمياء: كان جابر بن حيان أوّل كيميائي مسلم وأوّل من انتقل تأثير علومه إلى أوروبا عن طريق الترجمة إلى اللاتينية، ودام نفوذه العلمي في أوروبا مدة طويلة مع مجموعة أخرى من الكيميائيين المسلمين الذين لو ما وصلوا إليه من اكتشافات في مختبراتهم، لما استطاع الغرب التوصل إليه.[24]

ت. الفيزياء: ظلت آثار الحضارة الإسلامية في أوروبا واضحة حتى القرن السابع عشر من الميلاد، فيعود الفضل لعلماء مسلمين في تأسيس نظريات بالغة الأهمية لاختراعات غيّرت مجرى الحياة البشرية بوجه عام، مثل: النظارة، الكاميرا، المناظير الفلكية، المجاهر المخبرية..[25]

ج. الرياضيات: نهض المسلمون بالرياضيات نهضةً علميةً عظيمة، وبنوا فيها معارفهم على أساس من علوم اليونانيّن والهنود، ثم تقدّموا بها فأضافوا إلى معلومات اليونانيّن الكثير من النظريات التي لم يعفها الغرب من قبل. ابتكر علم الحساب أو الجبر.[26]

بالإضافة للعديد من العلوم التي تفوق فيها المسلمين والتي يطول شرحها، مثل: علم الفلك، الجغرافيا، الفلسفة، الجيولوجيا، الأدب..

2. الحياة الثقافية: وتضم الفنون والعمارة الإسلامية التي تعتبر أكثر ما تركه العرب وتأثر الغرب به حتى يومنا هذا بكافة طرزها الساسانية الفارسية، والسامرائية العراقية وغيرها من طرز الفنون والعمارة التي عمل المسلمون على ترقيتها وتطويرها وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية بكل ما فيها من فن دقيق وجمال رائع يسحر الناظر إليه(قصور، نافورات مرصعو بالذهب والحجارة الكريمة، الفسيفساء، الأقواس، المآذن،

القباب، الزخرفة، الخط العربي، الموسيقى...) وكان المسجد أهم ما تتمثل فيه العمارة العربية[27]

3. الحياة السياسية: كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام التشريعية إلى لغتهم، ولم تكن أوروبا في ذلك الحين على نظام متقن ولا قوانين عادلة، فقد كان العالم القديم والوسيط ينكر الشعب حقه في الإشراف على أعمال حكامه، فالحاكم هو السيد المطلق يتصرف كما يشاء (إقامة الحروب، استباحة الحقوق،..)وظل الأمر كذلك حتى قامت الحضارة الإسلامية وأعلنت مبادئها (الكرامة، الأمانة، النزاهة، احترام العهود، الوفاء بالعهود..[28]، فالحضارة الإسلامية حظيت بنظم ووظائف ومراسيم تطورت إلى درجة رفيعة من الدّقة والتنسيق، ومن أهمها واكثرها شمولاً: الخلافة، الإمارة الوزارة، الدواوين، القضاء، الجيش..[29]

4. الحياة الاقتصادية: تميّزت الحضارة الاسلامية اقتصادياً بدور تجاري بحري وبري نشط وحيوي بين أقاليم العلم شرقاً وغرباً، وتطوّرت زراعتها وصناعتها وأساطيلها وطرقها وثغورها لتلبية احتياجات هذا النظام الاقتصادي. فكان نظام منفتح ومتحرك رافق إزدهاره العصر الأموي والعباسي، وبلغ ذروته التي يمكن اعتبارها ايديولوجيا النظام الاسلامي وتفاعل آفاقه الحضارية الإنسانية[30]،فالتجارة انتعشت مع الفتوحات الاسلامية وانتقلت إلى كافة دول العالم عن طريق ما سميّ ببحر العرب، فكان يتوجب العبور عبر: الخليج العربي، بلاد اليمن، البحر الأحمر، أما الصناعة فقد كانت رائدة في صناعة السفن التي طوّرت تصميمها بما يليق باستخدامها(سلع خفيفة أو ثقيلة)ثم السفن الحربية، والزراعة عرفت تطوراً في المجتمع الإسلامي خاصة بما يتعلق باستخدام وسائل الري وتحقيق إمكانية نقل الزراعة المدارية من طقس حار إلى رطب في نفس الوقت.

5. الحياة الاجتماعية: كان للمجتمع العربي الإسلامي سمات واضحة، ومميزات أثرت أثرها العظيم في حياة الغرب وحضارتهم، فقد كان يسودهم الإخاء والتسامح، وكانوا يتسمون بالحلم، والأدب والوقار، والرضا بما قسم الله من حظوظ في الدنيا، فكان حقاً

مجتمعاً هانئاً مطمئن[31]، ولا مراء في أن أثر المسلمين في الحياة الاجتماعية الأوروبية واضحة، فكان لها الفضل الكبير في تغيير صفات وطباع الغربيين الذين كانوا يمتازون بالهمجية والوحشية، وتنازعهم الاجتماعي إلى التطبّع بالتسامح وروح العدل والإنصاف والتعايش في جوّ من الأمن والسلام.

الفرع الثالث: إسهامات العلماء المسلمين في الحضارة الغربية

يعود فضل العلم وعلوم المسلمين على الحضارة الأوروبية للعديد من العلماء المبدعين، والذي ظهر أثر أعمالهم في مجالات عدّة تاركين بصماتهم العلمية الخالدة في مجموعة من المؤلفات والمصطلحات والأسماء التي لم يستطيع عامل الزمن إزالتها أو طمسها.

ونذكر بعض إسهامات هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر، مع الحفاظ على المكانة العلمية للذين لم يتم التطرق إليهم بالتفصيل أو التقليل من أهميتهم وهم كثُر (الفرابي، ابن البيطار، الخوارزمي، البيروني، ابن بطوطة، الرازي...) فقد أبدع وتميّز كلّ واحد منهم في مجال تخصصه وأفاد البشرية جمعاء في الشرق والغرب.

1- **جابر بن حيان رائد الكيمياء:** جَابر بن حيّان بن عبد الله الأَزْدِيُّ هو أحد أعلام العلم المسلمين، لم تكن الكيمياء قبله علماً قائماً على التجربة العلمية بل كانت نوعاً من الصناعة يتناقلها الناس بلا تجربة أو مشاهدة، لهذا سميّ جابر بن حيان برائد الكيمياء وارتبط اسمه في الشرق والغرب بأول من وضع الكيمياء على أسس علمية وأصبحت الجامعات الأوروبية في مطلع نهضتها لا تعتمد على مراجع في علم الكيمياء غير كتب جابر بن حيان[32]. فكان تأثيره في الفكر الغربي بارزاً كيف لا وهو حجر الأساس لعلم الكيمياء.

2- **ابن سينا رائد الطب:** هو أبو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا الحكيم المشهور أمره، المقدور قدره، تعلم الكثير من العلوم كالفقه، المنطق، الهندسة، الطبيعة، الفلسفة، الطب وغيرها. وبرز ابن سينا في الطب وتعهد المرضى وانفتح عليه من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف وهو ما حمل الأطباء أنفسهم على أن يقصدوه ليستفيدوا منه. وقد كان من أشهر الأطباء الذين أنجبهم

العالم وهو معروف في أوروبا باسم "أفسينا" حيث ترك أثراً في الفكر الغربي وأصبح المرجع العالمي في الطب واستخدمت أعماله ومؤلفاته أساس لتعليم في الجامعات الأوروبية، أشهر كتبه: قانون الطب،كتاب الشفاء في الطب..وغيرها[33]

3- **ابن رشد رائد الفلسفة:** هو أبو الوليد محمد بن محمد بن رشد قاضي قضاة الأندلس وأشهر فلاسفة الإسلام، هو فيلسوف الأندلس الأكبر، وهو أعظم من شرح فلسفة أريسطو. وفي أحضان فلسفته بلغت فلسفة أريسطو رشدها، وعلى يديه خلصت من شوائب الخلط الذي وقع فيه من سبقه من فلاسفة المسلمين، وعلى شروحه الفلسفية بنى الأوروبيون فلسفتهم في القرون الوسطى، وأثرت فلسفته وآراءه في التطور الفكري في غرب أوروبا. أشهر مؤلفاته: كتاب التحصيل، بداية المجتهد ونهاية المقتصد.[34]

4- **ابن الهيثم رائد الفيزياء (رائد الضوء):** أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم وهو احد علماء الطبيعة (الفيزياء) الإسلاميين، دأب على تحصيل العلوم الفلسفية والطبية والفلكية...وعنى بتلخيصها وشرحها، ثم ألف فيها العديد من الكتب والرسائل. وتدل كتاباته على استقلاله الفكري فقد أخذ بالاستقراء والمشاهدة والاستنتاج ممّا وضعه في مقدمة علماء الطبيعة النظرية(نظريات في الأبصار وقوس قزح، انعكاس الضوء..وأقرّ علماء الغرب المحدثون على أن المسلمين تفوقوا تفوقاً باهراً في ميدان الفيزياء وبخاصة: العدسات، البصريات، الصوت، المغناطيسية..ونال لقب رائد الفيزياء بجدارة، من أهمّ مؤلفاته: المناظر[35] الذي ورد فيه المعادلة من الدرجة الرابعة حول انعكاس الضوء، وترك ثروة علمية حقيقية لا تزال آثارها وتأثيراتها في الفكر الغربي لحدّ اليوم.

وهنا يمكننا أن نستخلص بأن للحضارة العربية الاسلامية فضل كبير على الفكر الغربي الذي بني حضارته على أنقاض الحضارة الاسلامية التي لاقت ازدهار ونجاح لا مثيل له في القرن الثامن إلى غاية القرن الخامس عشر، وقد بلغت ذروتها العلمية وسطع نور علمائها وأفضالهم ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر أو ما يسمى بالعصر الذهبي الإسلامي، كل هذا التميّز كون هذه الحضارة:

- انبثقت عن الإسلام وأخذت الكثير من السنّة النبوية الشريفة، إذ يعتبران الروح المقدسة لها .
- تأسست على: التوحيد، العلم، العدل.
- حققت الازدهار بالاهتمام الواسع بالعلم والتعليم فأبدعت وتميّزت وانفردت في العديد من المجالات: العمارة، الفنون، الكتابة، الاختراعات، الزخرفة،...
- اتسمت بالسماحة وعدم التعصّب الديني، والدعوة للأخوة بالروح الإسلامية.
- اتسمت بالانفتاح على جميع حضارات العالم السابقة وبتالي أضافت وأبدعت وتألقت في البناء الحضاري.

الهوامش

1- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للنشر، ط1، 1988، ص:15.

2- توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص:25.

3- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، 1975، ص ص: 5- 6.

4- راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، مؤسسة إقرأ للنشر، ط2، القاهرة- مصر، 2009، ص:4.

5- أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 1981، ص:15 .

6- أحمد علي الملا، المرجع نفسه، ص: 116.

7- أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام، دار الأنصار، القاهرة- مصر، دون ذكر السنة، ص: 8.

8- راغب السرجاني، مرجع سبق ذكره، ص ص:41- 45.

9- راغب السرجاني، المرجع نفسه، ص ص: 46- 48.

10- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة – مصر، 1996، ص ص: 32- 33.

11- عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة: 1995، ص ص: 39- 40.

12- راغب السرجاني، مرجع سبق ذكره، ص ص:60- 61.

13- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص: 17.

14- عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سبق ذكره: ص ص: 40- 41.

15- راغب السرجاني، مرجع سبق ذكره، ص: 61.

16- عبد العزيز عبد المطلب السيد، أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب، دار العلم والإيمان، ط1، 2014، ص: 77.

17- أحمد علي الملا، مرجع سبق ذكره، ص: 119.

18- عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص:82- 83.

19- أحمد علي الملا، مرجع سبق ذكره، ص ص: 120- 123.

20- عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص:85- 86.

21- محمد أبو حسان، دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، مطبعة السفير، عمان- الأردن، 2009، ص:23.

22- محمد أبو حسان، المرجع نفسه، ص: 26.

23- سيد عبد الماجد الغوري، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، بحث مقدم في مؤتمر المعاني الحضارية في الإسلام، المملكة العربية السعودية، 2019، ص:11.

24- خالد بن سليمان الخويطر، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، 2004، ص:313.

25- خالد بن سليمان الخويطر، المرجع نفسه: ص:317.

26- سيد عبد الماجد الغوري، مرجع سبق ذكره، ص:16.

27- عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص:134- 135.

28- مصطفى السبّاعي، من روائع حضارتنا، دار الوّراق، ط1، 1999، ص ص:90- 92.

29- إسماعيل أحمد ياغي، أثر الحضارة الاسلامية في الغرب، العبيكان للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1997، ص: 48.

30- برهان زريق، الحضارة العربية الاسلامية، دمشق- سوريا، ط1، 2016، ص ص:283- 284.

31- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، 2012، ص: 235.

32- إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سبق ذكره، ص:73.

33- أبو زيد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص ص:298- 299.

34- أبو زيد شلبي، نفس المرجع، ص ص:303- 304.

35- إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سبق ذكره، ص ص: 76- 77.

المراجع

1- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للنشر، ط1، 1988.

2- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، 1975.

3- راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، مؤسسة إقرأ للنشر، ط2، القاهرة- مصر، 2009.

4- أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 1981.

5- أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام، دار الأنصار، القاهرة- مصر، دون ذكر السنة.

6- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة – مصر، 1996.

7- عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة: 1995.

8- عبد العزيز عبد المطلب السيد، أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب، دار العلم والإيمان، ط1، 2014.

9- محمد أبو حسان، دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، مطبعة السفير، عمان- الأردن، 2009.

10- سيد عبد الماجد الغوري، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، بحث مقدم في مؤتمر المعاني الحضارية في الإسلام، المملكة العربية السعودية، 2019.

11- خالد بن سليمان الخويطر، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، 2004.

12- مصطفى السبّاعي، من روائع حضارتنا، دار الوّراق، ط1، 1999.

13- إسماعيل أحمد ياغي، أثر الحضارة الاسلامية في الغرب، العبيكان للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1997.

14- برهان زريق، الحضارة العربية الاسلامية، دمشق- سوريا، ط1، 2016.

15- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر.